لغة التدريس بين الفصحى والعامية

محمد سليماني*

منذ القديم، اعتنى علماء التربية والمربون باللغة العربية الفصحى كلغة للتدريس تعليما وقراءة وتأليفا، وذلك لدورها المحوري والهام في بناء شخصية المتعلمين خاصة والأمة بشكل عام، وكذلك لارتباطها بالقرءان الكريم والدين الإسلامي الحنيف باعتبارها لغتهما.

وتبعا لذلك، كانت اللغة العربية الفصحى في العصور المشرقة للإسلام في أوج ازدهارها وقوتها، حيث كانت بدون منازع لغة التعليم في المدارس والجامعات المنتشرة في الدول الإسلامية كالقرويين بفاس، والزيتونة بتونس، والأزهر بمصر، حتى إن الطلاب والمتعلمين الذين كانوا تأتون من خارج البلدان العربية الإسلامية كان يلزمهم تعلم هذه اللغة لأخذ العلوم الدنيوية من المسلمين كعلوم الفلك والطب والكيمياء والبصريات وغيرها من العلوم التي برع المسلمون فيها، والتي صيغت بلغة عربية فصيحة، ووضع أسسها علماء كبار كابن سينا والرازي وابن الهيثم وابن نفيس وغيرهم.

أما في عصر العولمة والتقدم العلمي والازدهار الحضاري، فقد تقاربت الأفكار والثقافات بين الأمم والشعوب، فارتقت لغات وهددت أخرى بالانقراض والاندثار، وبقيت اللغة العربية الفصحى تشكو التهميش والإقصاء في أكثر من مجال من مجالات الحياة، حتى إنها في بعض الدول حوصرت في زوايا ضيقة ترتبط بالشعائر الإسلامية كالأذان والصلاة وخطب الجمعة، وظلت كتبها المتعلقة بالتراث العربي الإسلامي حبيسة رفوف المكتبات تنتظر من سيعيد لها بهجتها ويجدد عهدها المشرق.

إن التحديات التي تواجهها اللغة العربية الفصحى اليوم في مجال التعليم والتدريس أضحت أمرا جليا وواضحا، فهناك قصور في مهارات تعلم اللغة العربية كالقراءة والكتابة والمحادثة والسماع، ولعل أبرز أسباب ذلك شيوع العامية في العملية التعليمية - التعلمية وجعلها وسيلة

---

* - أستاذ مادة التاريخ والجغرافيا بالسلك الثانوي التأهيلي وباحث في علوم التربية، حاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ.

اتصال بين المدرس والمتعلم لفهم المادة العلمية وما يتعلق بها من نشاطات، وهي ظاهرة تستحق الدراسة والبحث، لما لها من آثار سلبية على مستوى اللغة العربية في مجال التعلم والتدريس.

وقبل الحديث عن أسباب شيوع وانتشار هذه الظاهرة وآثارها على العملية التعليمية-التعلمية، يلزمنا معرفة العلاقة بين الفصحى والعامية، والتي لن تكون طبعا سوى علاقة تعايش، إذ ما زالت العامية تحتفظ بكثير من الألفاظ والكلمات التي تعود أصولها إلى الفصحى، والفصحى قد تؤدي وظائف ربما لا تنهض بها العامية وفي الوقت نفسه تقوم العامية بوظائف أخرى ربما لا تنهض بها الفصحى (2) ، أي أن تكون العامية في شؤون الحياة اليومية في الشوارع والأسواق والبيوت، وربما ترتقي إلى ما يعرف بالأدب الشعبي الذي يفهمه عامة الناس من حكم وأمثال وقصص وأشعار، أما الفصحى فهي أكثر رقيا ومكانة وتتداول في مجلات التعليم والإعلام والمحافل والمناسبات الرسمية، وهي اللغة التي تكتب بها المقالات العلمية الأدبية الرفيعة في الصحف والمجلات، ومن خلال هذه العلاقة التكاملية المستنتجة بينها، فلا بأس إذا استعملت كل لغة في مجالها، لكن دون الدخول في مجال الأخرى.

1 - أسباب استعمال العامية في التدريس:

هناك أسباب كثيرة أدت إلى شيوع وانتشار العامية في مراحل التعليم والتدريس المختلفة، ومن أبرزها:

ضعف التأهيل اللغوي للمدرس، وهي مسألة مؤثرة في العملية التعليمية – التعلمية، تسبب الإخلال بها في تراجع مستوى اللغة العربية في مجال التدريس في الفترة الراهنة، وقد مضى زمن كان ينظر فيه إلى المدرس على أنه رمز للمعرفة والحكمة وإسداء النصح للمتعلمين، وهي وظيفة توجيهية لها أهمية قصوى في المسار التعليمي للطالب(3)، ومصدر المعرفة الوحيد في مجتمعه وأهل حيه،، وما يحتاجون إليه في أمور القراءة والكتابة (4) لكفاءته تربويا وعلميا ولغويا.

---

2 - جمعة سيد سيف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، عدد يناير 1990، الكويت، 1990، ص. 61.

3 - محمد بازي، صناعة التدريس ورهانات التكوين، منشورات مجلة علوم التربية، عدد. 23، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، الكويت، 2010، ص. 40.

4 - عبد العزيز الجلال، تربية اليسر وتخلف التنمية: مدخل إلى دراسة النظام التربوي في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط، سلسلة عالم المعرفة، عدد يوليوز 1985، الكويت، ص ص. 89 – 90.

تدريس المواد العلمية للمتعلمين باللغة العربية الفصحى، إذ أكدت الدراسات الحديثة على ضرورة أن يتعلم الطفل في بدايات حياته باللغة العربية، وأن الأصل أن يكون التعليم والتعلم باللغة العربية الفصحى في كل المستويات(5).

-- تجاهل الجانب العملي من تعلم اللغة العربية، إذ لا تزال طرق السرد والحفظ والتلقين يعتمد عليها في عملية التدريس، وقد أثبتت كثير من الدراسات الحديثة أن هذه الطرق لا تثير في المتعلم روح المناقشة والحوار، بالإضافة إلى عدم استيعاب كل المهارات اللغوية وشحذ أذهان المتعلمين بكم ضخم من الألفاظ غير المألوفة (6).

لقد تسبب استعمال العامية في عملية التدريس تراجع اللغة العربية في مجال التعليم من خلال المظاهر التالية:

-- ضعف المتعلم في المراحل المتقدمة من التعليم في المهارات الأساسية للغة العربية

كالقراءة والكتابة والسماع والمحادثة، لذا يجب على المدرس إثارة فضول المتعلمين وتحميسهم ما أمكن لدخول مجالات المعرفة الرصينة، واكتساب الكفايات المعرفية والمنهجية والتواصلية والإستراتيجية والتقنية التي يتطلبها عصرهم(7).

-- تشويه اللسان العربي من خلال امتزاج الفصحى بالعامية، إذ يقرأ المتعلم من الكتاب المدرسي باللغة الفصحى، بينما يسمع مدرسيه يتحدثون بالعامية أثناء عرضهم وشرحهم للدروس، وتلك ازدواجية لغوية لها تأثير سلبي على العربية الفصحى.

-- ضعف في تعلم قواعد اللغة العربية من خلال المناهج الدراسية، وابتعاد كل ما يدرسه المتعلم عن واقعه الذي يعيشه في حياته اليومية، وهذا الشعور له دور كبير في تفشي ضعف مستوى اللغة العربية لدى المتعلمين (8)، وبذلك نخالف موقف ابن خلدون الذي يعتبر تعليم العلم من جملة الصنائع، وأن الحذق في العلم يتم بحصول ملكات الإحاطة بمبادئه وقواعده (9).

---

5 - حوار الدكتور محمد الحملاوي، مجلة الوعي الإسلامي، منشورات الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، عدد. 516، شعبان 1429، الكويت، ص. 26.

6 - عبد العزيز جلال، مرجع سابق، ص ص. 70 – 71.

7 - محمد بازي، مرجع سابق، ص. 80.

8 - سميح أبو مغلي، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس بعمان، منشورات دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1997، ص ص. 8 – 9.

9 - ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ص. 461.

- عزوف الناشئة عن القراءة في جل الدول العربية الإسلامية، كما تثبتها أغلب الدراسات والاستبيانات التي أنجزت في هذا الإطار.
- التقليل من أهمية وقيمة اللغة العربية في وسائل الإعلام، والاستهانة بمدرسي اللغة العربية حتى صوروا في بعض المواد الإعلامية بصورة هزلية، بينما يقدروا مدرسوا ومعلموا اللغات الأجنبية الذين أصبحت لديهم مكانة مهمة في المجتمع (10).

2 - مقترحات للنهوض باللغة العربية الفصحى في مجال التدريس:

لقد بذلت جهود كثيرة للحد من العامية في مجال التعليم، بدءا بتأليف الرسائل والكتب التي تهدف إلى الوقاية من الوقوع في شرك الألفاظ والمصطلحات العامية (11) وصولا إلى مشاريع لغوية ناجحة تهدف إلى معالجة كل مظاهر الضعف في اللغة العربية في مجال التعليم، ولعل ما قال به الدكتور عبد الله الدنان في السنوات الأخيرة يصب في هذا الاتجاه، حيث وضع نظرية فريدة في تعلم الفصحى بالفطرة والممارسة، واقترح حلا لمشكلة تعليم اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية معتمدا على أحدث النظريات والتطبيقات العلمية الخاصة بتعليم اللغات، والتي تفيد بأن القدرة الفطرية الهائلة لاكتساب اللغات عند الأطفال تبدأ قبل سن السادسة، وأنها تبدأ بالضمور بعد هذا السن (12)، وأن الطفل يبتدئ باكتساب اللغة من خلال اتصاله بالبيئة الثقافية بصورة عفوية تقوم على التقليد والمحاكاة ثم يصير قادرا على إخراج الكلمات والجمل بطريقة تلقائية (13).

بدأ الدكتور الدنان تطبيق نظريته تلك في بعض المدارس الخاصة ورياض الأطفال، حيث يمارس فيها الطفل المتعلم اللغة العربية الفصحى لغة وحيدة للتواصل في المدرسة طوال اليوم المدرسي بحيث لا يسمع الطفل المتعلم في المدرسة إلا الفصحى ولا يقبل منه إلا الفصحى (14).

---

10 - أنظر ندوة « أسباب تدهور استعمال اللغة العربية عبر الموقع الإلكتروني www.minbar@aljazeera.net ، تاريخ الحلقة 22/02/2009.

11 - أشار إليها الدكتور حسين نصار في تحقيقه لمعجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، دار الكتاب، الجزء الأول، القاهرة، ص ص. 9 – 10.

12 - جمعة سيد يوسف، مرجع سابق، ص ص. 49 – 50.

13 - هادي الهيتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، عدد مارس 1988، الكويت، 1988، ص ص. 143 – 144.

14 - عبد الله الدنان، نظرية جديدة لتعليم اللغة الفصحى، مجلة الوعي الإسلامي، منشورات الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، عدد. 596، الكويت، 2016، ص. 58.

3 - بعض الأمور التي تسهل اعتماد الفصحى في مجال التعليم. وأبرزها:

- اختيار ألفاظ عامية قريبة من الفصحى بحيث يفهمها التلميذ، فالمدرس الناجح هو من يستفيد من لغة الكلام التي يأتي بها التلميذ إلى المدرسة، وهنا يمكن إحكام الصلة بين لغة التعليم ولغة التخاطب اليومي (15).
- استخدام طريقة التسكين في المستويات الأولى من التعليم، أي تسكين أواخر الكلمات ماعدا الكلمات المبنية.
- أن تكون دراسة قواعد اللغة عملية أكثر مما هي نظرية من خلال اعتماد مهارات الاستماع والكلام لدى المتعلم في المراحل الأولى، ليكتسب من ذلك الجرأة الأدبية على التعامل بالعربية الفصحى (16).
- الاستفادة من التقنيات العلمية الحديثة والوسائل التعليمية الفعالة في تعلم اللغة، إذ تيسر وتسهل دور المدرس وتجعله موجها للتعلمات، متسما بالكفاءة العلمية والتربوية اللازمة، حيث إن كل صف نشيط يقوده مدرس ماهر يستطيع أن يعالج كل اعوجاج أو نقص في مستوى متعلميه (17).
- استعمال اللغة العربية الفصحى في كل أنواع الأنشطة المدرسية مثل الإذاعة المدرسية والعروض والندوات والمسرحيات.....
- تحفيز المتعلمين على القراءة الحرة خارج أسوار المدرسة، من خلال ربط الطفل المتعلم بالكتاب والمجلة، فهي بدون شك تساهم في إغناء رصيده المعرفي والعلمي وتطور ذخيرته اللغوية وتوسع أفقه وخياله.
- أن تسهم الأسرة من جانبها في خلق جو ثقافي داخل البيت من خلال توفير مكتبة خاصة بالأطفال، واستخدام أسلوب القصص وممارسة الألعاب اللغوية التي تساهم في تنمية مهارات اللغة الفصحى لديهم.
- إشاعة اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام وخصوصا البرامج الموجهة إلى الأطفال، وأن توطد علاقاتها بالمؤسسات التربوية والتعليمية من خلال الحفاظ العربية الفصحى ورفع مكانتها لدى الأجيال الحاضرة والمقبلة.

---

15 - علي النعيمي، الشامل في تدريس اللغة العربية، دار أسامة للنشر، عمان، الطبعة الأولى، 2004، ص. 142.

16 - سميح أبو مغلي، مرجع سابق، ص. 52.

17 - أنجيلا ميديسي (1965). التربية الحديثة، ترجمة علي شاهين، منشورات عويدات، بيروت، ص. 129.

لائحة المراجع المعتمدة:

- جمعة سيد سيف (1990). سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، عدد يناير 1990، الكويت.

- محمد بازي (2010). صناعة التدريس ورهانات التكوين. الطبعة الأولى، منشورات مجلة علوم التربية، عدد. 23، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

- عبد العزيز الجلال (1985). تربية اليسر وتخلف التنمية: مدخل إلى دراسة النظام التربوي في أقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط، سلسلة عالم المعرفة، عدد يوليوز 1985، الكويت.

- محمد الحملاوي، مجلة الوعي الإسلامي، منشورات الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، عدد. 516، شعبان 1429، الكويت.

- سميح أبو مغلي (1997).التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس بعمان. الطبعة الأولى، منشورات دار الفكر، دمشق.

ابن خلدون عبد الرحمان (1992). تاريخ ابن خلدون. الطبعة الأولى، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت.

- عبد الله الدنان (2016). نظرية جديدة لتعليم اللغة الفصحى، مجلة الوعي الإسلامي، منشورات الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، عدد. 596، الكويت.

- هادي الهيتي (1988). ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، عدد مارس 1988، الكويت.

- علي النعيمي (2004). الشامل في تدريس اللغة العربية. الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر، عمان.

- أنجيلا ميديسي (1965). التربية الحديثة، ترجمة علي شاهين، منشورات عويدات، بيروت.